اللعنات والحروم

في وقفيات المخطوطات النصرانية

من تتبع اليوم المخطوطات النصرانية المحفوظة في الخزائن الغربية يجد قسماً منها كان قبلًا موقوفاً في الشرق على الكنائس والاديار . ثم عبثت به ايدي الاطماع وصروف الدهر ففارق اهله وخرج عن مكانه . دون ان تهول مختلسيه وبائعيه ما ورد فيه من الوعيد بالويل والثبور . والتهديد بالمنع والقطع لكل من نقض شرطه وانتهك حرمته . وقد اختلفت الفاظ الوقفيات واللعنات فيها باختلاف المدن والمِلَل ولعل نقل جانب منها على سبيل التمثيل لا يخلو من فائدة ونكتة .

ومن احباس الروم الملكيين في منتصف القرن الخامس عشر ما خطّه مرقس اسقف صيدنايا في كتابه التريودي بالسريانية من كتب دير القديس خريسطوفورس فيها بعد ان استردّه من تَرِكة بعض مستعيريه . قال بلفظه :

« . . . هو وقف موبد . وحبس محرم . على الدير المذكور . فما لاحد سلطان من الله تعالى . يخرجه عن الوقفية بوجه من الوجوه . ولا يبيعه ولا يوهبه . ولا يقايض فيه . ومن تجاسر وفعل غير ذلك . كان محروم مفروز من مجد الله تعالى . ومن الرسل الاطهار . ومن سبع مجامع المقدسة . ومن الرسل الاطهار . ومن تجاسر وقطع الورقة كان له نظير ذلك . وكتب مرقس الاسقف المذكور بتاريخ ثامن شهر ادار المبارك سنة ستة آلاف وتسماية اربعة وخمسين لكون العالم (١٤٤٦ م) والسبح لله دايمًا »(١

وعلى هذا المنوال جرى اكثر من جاء بعد مرقس من رجال الدين . وقلّدوه خصوصاً في ذكر المجامع السبعة حتى من كان اقربهم الى الكثلكة واشدهم ميلًا الى موالاة رومة نظير البطريرك افتيميوس كرمة . وهذا نصّ ما كتبه في تعليق له على انجيل حبسه على «دير القديسة الكلية الحكمة الست كاتريتا داخل القدس الشريف» قال :

« . . . فما لاحد سلطان من الله تعالى ان يخرجه عن الوقفية المذكورة بوجه من الوجوه . او بحيلة من الحيل . او يبيعه . او يشتريه . او يقايض فيه . او يختلسه لنفسه . او يخرجه عن الوقفية المذكورة . الى ان يرث الله تعالى الارض وما عليها . وهو خير الوارثين . وكل من

---

١) راجع صورة هذه الوقفية بتوقيع مرقس في كتابنا تاريخ صيدنايا ص ١٥٦

تعمدًا ما حددناه . وخالف ما سطرناه . كاينًا من كان . يكون ذلك الانسان . غضب الله ورجزه عليه . وعلى هامته وجسده وساير تصرفاته . ويكون محروم مفروز من السبعة مجامع المقدسة . ومن فم ريسا كهنة الدنيا . ومن فمي انا الحقير افتيموس البطريرك الانطاكي وساير المشرق . وكل من وصل ليده هذا الكتاب الشريف من غصب او سلب . او خطف او سرقة . وما يستفكه ويرده الى مكانه . يكون نظير سارقه . والويل لمن رضي لنفسه ذلك .

تحريرًا في اوائل شهر اذار سنة سبعة الاف مابة اربعة وخمسين لآدم (١٦٤٦م) ولربنا الحمد »[١] .

واستقر هذا الاسلوب قاعدة مشى عليها في حلب خَلَف البطريرك المذكور المطران ملاتيوس الزعيم وهو المشهور بالبطريرك مكاريوس الحلبي . وكان ينسخ معظم عباراتها في وقفيّاته . ومنها ما جاء له على كتاب المجامع او كما يسميه الناموس الذي حبسه على قلّية المطرانية سنة ١٦٤٣ وهو محفوظ اليوم في خزانة الڤاتيكان رقم ١١١

وامتاز بعض اساقفة حلب بالإغراب في اللعن والدعآء على من يستبيح وقفًا لهم . ومن اظرف ما وقفنا عليه من كلامهم ما خطّه بيمينه غريغوريوس فضيل الرومي الملكي . وهو من سبقت لنا اشارة اليه في مقالة سابقة[٢] . وكان نادرة من نوادر القوم : كتب مرة على مخطوط يعرف عندهم بالقنداق رقم ٤٧ من مخطوطات الڤاتيكان :

« لعن الله سارقه . لعنة لا تفارقه . اين ما راح ترافقه . ساكنة في خوافقه . وهي وافقه توافقه » (f° 102)

ومثل هذا القسم بالله من فم المطران . احلى من المآء على لهاة الظمآن . ولكي لا تفوت القارئ بعد سماعه هذا السجع الرقيق ، لذة النظر الى خطه الانيق ، رأينا ان نرسم بجانبه صورة هذه الصفحة الفريدة من قلم المطران . وفي ذيلها توقيعه بالشكل الرومي monocondyle

ومن الشدة والغرابة ايضًا ادعية للمطران جرمانوس فرحات الماروني في وقفية الكتب التي خص بها كنيسة مار الياس بحلب للموارنة سنة ١٧٣١ قال بلفظه :

١) خزانة القبر المقدس رقم ٢٧

٢) خطايا الروم الملكيين بحلب في القرن السابع عشر . الخزانة الشرقية (المشرق ٣٦ [١٩٣٧] ٢٢–٤٠)

« . . . كل من ينبرها عن هـذه الوقفية . . . فليكن ربوطاً . . . محروماً مسخوطاً مرذولاً . . . مقطوعاً من جسد الكنيسة الرومانية . ويكون بيته مثل صادوم وعامورا . ويذهب رزقه . وينهدم بيته . وتشحذ اولاده من ابواب الخلايق . . . » (١

وهذه العبارات الاخيرة وحدها كافية للدلالة على منشإ أُسرة المطران في جبل لبنان .

ومن موقوفات دير المخلص للرهبان الملكيين التي انتقلت الى الخزائن الغربية بعض مخطوطات لا نود ان نشير الا الى اثنين منها فقط لفائدتها الطقسية . وكلاهما اليوم في خزانة الڤاتيكان . وهما :

الاول . « باركليتكون » اي كتاب المعزّي . بالسريانية والعربية . رقم ٣٢٩ كتب سنة ٧٠١٧ لآدم اي ١٥٠٩ للمسيح . وعليه بخط حديث

« وقف دير المخلص من المعلم لطفي بن موسى دبب الشامي سنة ١٧٠٧ مسيحية »

الثاني « انتولوجيون » ويسمونه « كتاب المعيّد » بالسريانية الملكية رقم ٣٥١ عليه وقفية بقلم القس حبيب ابن الاسقف مقاريوس من مدينة قارة . ومطالعة بخط « الحقير في روسا الكهنة جرمانس مطران بعلبك » بتاريخ ٢٣ ايار سنة ٧٠٩١ لآدم اي ١٥٨٣ للمسيح

وفي اسفل الصفحة الخامسة منه هذه العبارة « قد انتقل الى دير المخلص سنة ١٧٣٠ »

وفي هاتين الوقفيتين شاهد صريح بوجود بعض من رهبان الدير كانوا يقرأون السريانية ويصلون بها طقسهم البيزنطي . ولا غرو فقد كان منهم غير واحد من اهل معلولا وصيدنايا وسائر القرى التي كانت الارامية لا تزال لغة باقية فيها في اوائل القرن الثامن عشر . ويستدل من المخطوط الثاني ان كنيسة الروم الملكيين في بعلبك وما يضاف اليها من كنائس القرى كانت تتلى فيها الصلوات بالسريانية الملكية . ولدينا في المعنى نفسه عدة قيود اخرى من مخطوطات دينية تدل على انتشار السريانية في كنائس اسقفية بعلبك . وليس هنا محل استيفائها .

١) مقالة للخوري ابرهيم حرفوش : مكتبة طائفتنا المارونية في مدينة حلب المحمية (المشرق ١٧ [١٩١٤] ٣٤)